There are no translations available.

جوزيف عون... يترجّل باكرًا؛ ليرقد بسلامٍ في تُراب "جبال الصوّان"

وزحلَ الأستاذ جوزيف...
رُبّما، لأنّ كبارَ النّفوس تَتعَبُ أجسادُهم باكرًا فيَترَجّلون...
ربمّا، لأنّه اطمأنّ إلى**ريتان وريبال ومروان، ومعهم إلى سبعةٍ وثلاثين عامًا من عمر المواكب**، وإلى آلافٍ وآلافٍ من طُلبتها الذين نهلوا من معينها ثقافةَ الحياة.
ربّما، لأنّه اشتاق إلى التّراب الذي جاء منه؛ فشدّ إلى "جبال الصّوّان" الرّحال؛ ليَنتَشي مِنْ صنوبراتها عِرْزالًا يَخْطِي فيه بجيرانَ وعاصي، ومنصور... فيُخرِجَ لهم هناك مسرَحيّةً جديدةً لأجيالٍ وُلدتْ، ولأُخرى لمْ تُولَدْ بعد.
ربّما، لكنّ هذا رَحَلَ الأستاذ جوزيف، لكنّه يَقِينًا لم يرحَلْ لِنِجْعلَنا نَشْتاقُ إليه، ولمْ يُمْعِنْ بالنّعاء؛ ليَتجدّد، فهو حبيبُ الجميع، والْحبيبُ الْحبيبُ لا يُمَلُّ له مُقام... ومن أبناء النّور هو... وأبناءُ النّور، عطاؤهم دَفقٌ مُتَجَدّدٌ ليس فيه انقطاعٌ.
رحلَ جوزيف تاركًا في قلوبنا غصّةً مبهمات أنْ نزول؛ فلجوزيف عند كُلّ مَنْ عرفه وتقرّب إليه وعاشَرَه مُعاشرة المدير والزّميل والمعلّم والرّفيق... بصمةٌ خاصّةٌ... علاقةٌ جميلةٌ بدفئها وفرادتها وخصوصيتها... علاقةٌ تُعْطينا الحقّ في أنْ نُطلِقَ لعواطفنا الْعنان ونوسّعَ لها ما شئنا من مَدى، لكنّها لا تُجيزُ لنا أنْ نُمعِنَ في الْحزنِ فنظَلّ عن تجربة فريدةٍ نُمْرَبّ انحازَ باستيازٍ إلى ثقافة الحياة، فخطا إلى المجال التربويّ ليتخذَ منه مهنةً ورسالة، وهو الذي تَرَبّى منذُ شبابه على مبدأ أنّ الفرد جزءٌ من الْكُلّ، وأنّ كلّ ما فيه للكُلّ، وأنّ الكُلّ هو وطنٌ خلاصُ أبنائه لا يكونُ إلا بالوحي.
أحبّ جوزيف أدبَ الحياة، وأيقَنَ أنّ لهذا الأدب قوّةً وقدرةً عجيبةً على البقاء والتّنوير والتّعبير؛ فأصرّ بصراعيةٍ "مدْلَج" في مسرحية "جبال الصّوّان"، أنْ يَنْقُلَ الأدبَ الرّحباني الخالد إلى أجيالٍ تُمارِسُ عليها شتّى التّعْميات لتنقطعَ عن ثقافتها، وتنْفَصِمَ عن حضارتها؛ فاختار مِنْ مسرَحياتِ الرّحابنة بدايةً، الأصالَ عبرَ المصوّرة، فأبدعَ مع فريقه في تدريب الطّلبة عليها وإخراجها، وأبدعوا هُمْ معهُ أداءً وتمثيلًا يَبُرُّ بعفويته وروعته أداءَ المحترفين، في أعمالٍ سَتُشَكّلُ لنا ولسائر المهتمين بقضايا اللّغة ظاهرةً يجبُ أنْ ندرسَها بإمعانٍ علّها تزيحُ عن أعيننا غشاواتٍ تُصِرّ على التّمسّك بها، فنتفكّرُ كيف استطاع جوزيف أنْ يُحبِّبَ المسرحيةَ العربيةَ إلى أبناء الجيل الجديد فيتهافتونَ**عربًا وأجانب**؛ كي يكونوا ضمنَ فريقه المسرحي، أو يقبلون على حضور مسرحياته بشغفٍ كبير.
هذا غيْضٌ من فيْضِ تجربةٍ رُكْنٍ من أركان المواكب هو جوزيف عون الّذي نودّعه اليوم وداعَ أخٍ ورفيقٍ ومُعلّمٍ غرَسَ حيثما حَلّ ثقافةَ الْفَرَحِ وحُبّ الْحياة، فمن أبناء الحياة هو... وسلامٌ على أبناء الحياة يومَ يولدون، وسلامٌ عليهم يومَ يَرْحلون، وطوبى لذكراهُم الدّائمة فرحًا في قلوب المحبّين...